النمو الحضري في فلسطين

الدكتور عبد الاله ابو عيّاش

يتفاوت مفهوم التحضر بين دولة وأخرى كما تختلف المعايير والتعاريف المتبعة لتحديد حضرية المكان ، ويحدد الكتاب السنوي الديمغرافي للامم المتحدة عدة مفاهيم تستخدم كأسس لتحديد المكان الحضري(١).

١ ــ يعرف مكان ما بأنه حضري على أساس حجم السكان ، ويتفاوت الحجم السكاني بين ٢٥٠ نسمة في الدنمرك و ٤٠ ألف نسمة في كوريا .

٢ ــ تحدد بعض الدول حضرية المكان على أساس حجم السكان ونوعية الوظائف والفعاليات الاقتصادية التي يؤديها ذلك المكان .

٣ ــ تعرف دول أخرى حضرية المكان على أساس نوعية الوظائف والنشاطات الاقتصادية التي يقوم بها المكان بغض النظر عن حجم سكانه .

وقد تبنت الامم المتحدة معيارا لتحديد حضرية المكان يقوم على تحديد الاماكن التي يزيد عدد سكانها على ٢٠ ألف نسمة(٢). ويعتبر التعريف الاحصائي القائم على تحديد حجم السكان أهم المعايير المستخدمة وأكثرها شيوعا بين الدول لتعريف حضرية المكان(٣). وكما ذكرنا فقد اختلفت هذه المعايير بين الدول ، فقد كانت ايزلنده تعتبر المكان حضريا او مدينة اذا زاد حجم التجمع السكاني عن ١٥٠٠ نسمة ، وفي فرنسا وتشيكوسلوفاكيا وتركيا أخذ حجم السكان ٢٠٠٠ نسمة كحد أدنى لتعريف المكان الحضري ، وفي هولنده واليونان اعتمد الرقم ٥ آلاف نسمة . وما بين عامي ١٩١٠ و١٩٤٠ كانت الولايات المتحدة تعتبر أي تجمع سكاني يزيد عن ٢٥٠٠ نسمة مدينة او مركزا حضريا وكذلك فعلت المكسيك(٤). واذا ما أخذنا بنظر الاعتبار ان هذه هي المعايير التي كانت سائدة في الثلاثينات والاربعينات في أوروبا وأمريكا رغم تغيرها في الوقت الحاضر وان تعريف الامم المتحدة لحضرية المكان على أساس ٢٠ ألف نسمة لم يكن موجودا في تلك الفترة لانه تعريف حديث ، وبما اننا نركز في هذه الدراسة على مقارنة حضرية فلسطين مع بقية الدول في العالم على أساس المعايير والتعاريف التي كانت سائدة في تلك الفترة ــ أي قبل عام ١٩٤٨ ــ ، فاننا نستطيع القول ان جميع الدول الاوروبية والامريكية تكاد تتفق فيما بينها على ان المكان الحضري هو ما زاد حجم سكانه على ٥ آلاف نسمة . واننى أميل الى تبني المعيار الاوروبي ــ الامريكي لانه أكثر المعايير شيوعا ، ثم لان الكثير من الحقائق عن فلسطين شوهت من خلال أجهزة الاعلام الاوروبية والامريكية التي استغلت ببراعة من قبل الدعاية الصهيونية ، ثم لان فلسطين كانت خاضعة للانتداب البريطاني الذي كان يطبق معايير تتبنى وجهة النظر الاوروبية في تحديد حضرية المكان .

تشير كل الحقائق التاريخية صراحة الى أن فلسطين عاشت لآلاف السنين كمنطقة امتازت بجماعات تبنت الحضرية والاستقرار أساسا لحياة سكانها ، ولهذا ظهرت مدن